العلم الحضوری للنفس وتأثیره فی الجسم والکون من منظار الحکمة المتعالیة

عبدالله عیسی عبدالله الضامن

حمزة علي إسلامي نسب

الملخص:

الله سبحانه وتعالی خلق الکائنات وأودع فیها القوة والعلم وجعلها تسیر وفق نظام سماوی محکم کل یقوم بدوره فی هذه الحیاة ویسعی للوصول الی الکمال الإلهی من خلال التفاعل بینه وبین الموجودات، بین بعضها مع بعض او بین وجوده الذاتی الذی ینفعل فی نفسه ومع غیره. وفی هذه الدراسة نسعی للإجابة عن تأثیر العلم الحضوری للنفس فی الجسم والکون من منظار الحکمة المتعالیة وبالخصوص فی فلسفة الفیلسوف الإلهی محمد بن إبراهیم القوامی الشیرازی الملقب بصدر الدین وصدر المتألهین (الملا صدرا)، من خلال تتبع ودراسة بعض المفاهیم کالمعرفة والعلم واقسامه، وبالأخص العلم الحضوری، فنسال ما هو المقصود من العلم الحضوری؟ هل هناک دلیل علی ان العلم الحضوری للنفس له تأثیر علی الجسم والکون؟ فی طور هذه الدراسة نشرع باستعراض بعض الشواهد التی یفهم ویستدل منها علی ان العلم الحضوری للنفس له تأثیراً فی الجسم والکون. والنتائج هی: العلم الحضوری یکون ملازم للنفس وهو من طبائعها الغریزیة الفطریة التی اودعها الله سبحانه وتعالی فیها. النفس هی المحرکة والمستخدمة لجسمه فلا یمکن ان یؤدی الجسم دوره ومهامه بدون حلول النفس فیه ولا یمکن الاستفادة من النفس اذا لم یکن فیهاعلمها الحضوری ولم یکن لها التفات بهذا العلم .

کلمات مفتاحیة: المعرفة، العلم، العلم الحضوری، النفس، الحکمة المتعالیة، الشیرازی

المقدمة:

لقد تناول العلماء بشكل واسع طرق تحصيل الانسان العلم والمعرفة واثارهما على جميع الاصعدة التى يتفاعل معها هذا الكائن وبالأخص الفلاسفة فقد ميزوا طريقة حصول الانسان على هذه المعرفة كما ميزوا الفرق بين المعرفة والعلم والادراک الذى يشار له فى بعض العلوم على انه يكفى منه حصول المعرفة لدى الانسان، والمعرفة هى التى ساعدت على بناء وتطور الانسان فى مختلف العلوم والمعارف وظهرت اثار العلم والمعرفة على الانسان نفسه وعلى مجتمعه، ومن بين هذه العلوم المهمة فى عصرنا الحاضر علم الطاقة الذى يبين طريقة التفاعل بين الأشياء والتأثير عليها أو التأثر بها، ولكن ينبغى على الانسان المؤمن ان يتأمل ويتثبت من المعارف والمعلومات التى يتعلمها من هذا العلم ولا ينخدع بها ويعرضها على العقل والدين.

والهدف من هذه الدراسة هو دراسة تأثير العلم الحضورى للنفس فى الجسم والكون من منظار الحكمة المتعالية، من حيث ان هذا العلم الحضورى للنفس يؤثر بشكل رئيسى على الجسم والكون ويتفاعل معه من دون واسطة أى ان هذا الجسم والكون بحاجة ماسة الى وجود العلم الحضورى للنفس لكى تتم عملها وغايتها التى خلقها الله من اجلها وهذا هو النظام الطبيعى فى الاجسام والكون باسره. ولكى تتضح لنا أهمية وجود العلم الحضورى للنفس وتأثيره فى الجسم والكون قسمنا البحث الى مجموعه من المباحث.

المبحث الأول: تعريف المفاهيم وتعرضنا فيه الى مفهوم المعرفة والعلم واقسامه ومن ثم تناولنا مفهوم العلم الحضورى.

المبحث الثانى: علاقة العلم الحضورى وتأثير النفس.

المبحث الثالث: تأثير النفس فى الجسم.

المبحث الرابع: تأثير النفس فى الكون.

المبحث الأول: تعريف المفاهيم

أولاً: المعرفة

علم المعرفة لم يكن مطروحا فى تاريخ العلوم ولم يعد كونه فرعا من العلوم الفلسفية، ولكن قيمة المعرفة كانت مطروحة على طاولات البحث وتشكل المحور الأصيل لمسائل علم الفلسفة وكانت مطروحة منذ أقدم مراحل الفلسفة ولعل أول عامل أدى الى اتفات العلماء الى

مسائل المعرفة هو اكتشاف أخطاء الحواس وقصور وسائل المعرفة، مما أدى بالإليائيين الى الاعتماد على الادراكات العقلية بقدر اكبر واعتبروا الادراكات الحسية غير قابلة على الاعتماد، فكثرت الاستدلالات والبراهين المغلوطة حتى انكر السفسطائيين قيمة الادراكات العقلية فطرحت مسالة المعرفة بصورة جدية حتى دون ارسطو القواعد المنطقية للاستدلال واعتبرت أساس التفكير الصحيح وعليها العمدة الى وقتنا الحاضر، والمعرفة يراد منها مطلق العلم والاطلاع، وتارة يقصد منها التذكر وأخرى تستعمل بمعنى العلم المطابق للواقع الخارجي، والمعرفة هى موضوع علم المعرفة وقد تؤخذ باى من هذه المعانى ولكن من الأفضل ان يكون المقصود هو المعنى الاعم المساوى لمطلق العلم. (اليزدى، ۱۴۲۸هـ ج۱، ص۱۳۶-۱۳۷-۱۴۰)

المعرفة تحصل فى النفس بطريق الحس، فحصول المعرفة للإنسان يكون من جهة الحواس وادراكه للكليات والجزئيات ونفسه عالمة بالقوة، فالطفل نفسه قوة مستعدة لان تحصل لها الأوائل والمبادئ من غير استعانة بل تحصل له من غير قصد ومن حيث لا يشعر به، وقسموا معارف الانسان الى فطرية وغير فطرية. (جهامى، ۱۹۸۸م، ج۱، ص۸۰۷)

والمعرفة رسم المعروف فى نفس العارف بحال واحدة وان لم تكن بحال واحدة لم تحصل معرفة، والمعرفة منها ناقصة حاصلة بأوائل الاذهان ومنها تامة حاصلة بإمعان النظر والتفكر، والمعرفة يقال لما يشعر به الواحد فى سره مما لا يطلع عليه غيره الا ان يطلعه عليه، والمعرفة تقال على استثبات المحصول المدرک وخصوصا إذا تكرر ادراكه، فإنّ المدرک إذا أدرک شيئا فحفظ له محصولا فى نفسه ثم أدركه ثانيا وأدرک مع إدراكه له أنّه هو ذلک المدرک الأول قيل لذلک الإدراک الثانى بهذا معرفة. (جهامى، ۱۹۸۸م، ج۱، ص۸۱۱)

فالمعرفة تقع فى النفس ومن لا نفس له لا معرفة له فالنفس هى التى تنفعل بالمعارف الفطرية وغير الفطرية وهى التى تقر وتسكن عند الحصول على مبتغاها فتراها عند انشغالها لا تهدأ ولا تستقر، كما ورد عن الامام الباقر عليه السلام فى زيارة امين الله الامام على عليه السلام (اللهم اجعل نفسى مطمئنة بقدرک راضية بقضائک مولعة بذكر ودعائک...) وهذه النفس التى تطلب الكمال الإلهى الربانى التى ينبغى على الانفس ان تحذو حذوها.

ثانياً: العلم

عرفوا مفهوم العلم على انه أوضح المفاهيم وأشدها بديهيةً، ولا يمكن تعريفه لأنه لابد ان يكون المعرِف أوضح وأجلى من المعرَف ولكى يتم تعريفه لا بد من وجود مفهوم اعرف منه، وما ذكر فى الكتب المنطقيةً والفلسفيةً فالمقصود منه اما تعين المصداق او الإشارةً الى نظريةً صاحب التعريف، والمقصود منه انه ذلک الادراک البسيط الذى لا يقبل التجزئةً، ولذلک عرف العلم انه حضور نفس الشىء او صورته عند موجود مجرد. (اليزدى، ۱۴۲۸هـ ج۱، ص۱۴۰)

فالعلم من صفات الله سبحانه وتعالى فهو علام الغيوب وهو العليم والعالم بكل شىء على حقيقته وكنهه فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، يعلم ما فى النفوس عالم بما كان وبما يكون، بل العلم عين ذاته سبحانه وتعالى. والعلم فى ابسط صورةً وتعريف له هو إدراک الشىء على حقيقته، فجعل للإنسان القدرةً على التفكير فلذلک هو مستعد لتحصيل العلوم والمعارف، وطرق الحصول على العلم متعددةً ومختلفةً فمنها ما هو مكتسب بواسطةً الحواس مثل السامعةً والباصرةً وغيرها، ومنها ما هو مفطور عليه. فالله سبحانه وتعالى أودع فى الانسان الفطرةً، بل جعلها موجودةً فى سائر الموجودات على الاطلاق. وكذلک خلق له العقل وهو الةً التفكير وبواسطته يكون الانسان قادرا على تحصيل وكسب العلم والتفكير والتحليل والاستنباط. فالعلم اما يتعلق بذات المعلوم بدون واسطةً او يتعلق بما يشاهده فى الخارج وتنطبع صورته فى الذهن للعالم بواسطةً، ولأجل ذلک جملةً من الفلاسفةً المسلمين والمناطقةً قسموا العلم الى قسمين: العلم الحصولى والعلم الحضورى، ومقصدنا من العلم فى هذا البحث هو العلم الحضورى. (المظفر، ۱۴۲۷هـ ص۱۳؛ اليزدى ۱۴۲۸هـ ج۱، ص۱۶۰)

ينقسم العلم كما هو معروف الى علم حصولى وعلم حضورى، ويعتقد الملا صدرا واتباعه ان كل علم حصولى ينتهى ويرجع الى العلم الحضورى بمعنى ان المحكى الذى تحكى عنه الصورةً الذهنيةً حاضرةً لدى النفس وليس شيئا خارجا عنها ولذلک ارجع بعض العلماء الى ان الأخطاء الصادرةً ترجع أيضا الى العلم الحضورى السب فى ذلک ان كل علم حصولى ينتهى الى علم حضورى والتداخل بينها مما أدى الى الاشتباه بان هذا من العلم الحضورى بينما الذى يدرک بالعلم الحضورى هو شىء بسيط. (الكاظمى، ۱۳۹۹ش، ص۲۱)

ثالثاً: العلم الحصولی

العلم الحصولی هو حضور صورة المعلوم لدی العالم وهو العلم الذی یحصل بواسطة الصور الذهنیة، وهو الذی ینقسم الی التصور والتصدیق. (المظفر، ۱۴۲۷هـ ص ۱۳، الهامش)

فالعلم إذا کان محکیا عن المعلوم الخارجی ومرآة له وانشأته النفس بواسطة حواسها یسمی علما حصولیاً، ووجودا ذهنیا وهو حصول صورة الشیء عند النفس محاکیا عنه وهو الوجود الذهنی. نکتفی بهذا القدر الیسیر من العلم الحصولی بالبرغم من أهمیة هذا النوع من العلم واثاره الکبیرة فی مختلف العلوم والمعارف لعدم احتیاجه فی بحثنا. (آملی، ۱۹۹۲م، ص۵۲۰)

رابعاً: العلم الحضوری

وهو حضور نفس المعلوم لدی العالم دون واسطة وهو اتحاد بین العالم والمعلوم، وهو حصول العلم من دون واسطة للعالم أی من ذاته کعلم أی واحد منا بذاته بعنوان انه موجودا مدرکا یعلم بذاته وبالشهود الداخلی انه موجود وهو عین العلم، وفی هذا العلم لا یوجد تغایر بین العلم والمعلوم والعالم وهی أکمل مصداق لحضور المعلوم عند العالم، فعلمنا بأرواحنا وبانفعالاتنا وحالاتنا النفسیة یحصل بالعلم الشهودی البسیط الذی یتم بلا واسطة وهذا العلم والوعی خاصیة ذاتیة للروح، وبما ان الروح مجرد ولیس ماديا وکل جوهر مجرد هو عالم بذاته وهو من لوازم العلم الحضوری. لا کالذی یحصل للإنسان عند العلم بلون بدنه وشکله الذی یحصل بواسطة الحواس او التجربة الذی هو من لوازم العلم الحصولی، ومن مصادیق العلم الحضوری أیضا علم النفس بقواها المدرکة والمحرکة فعلم النفس بما لدیها من قوة التفکیر والتخیل والقوة التی تستخدم أعضاء البدن انما هو علم حضوری ومن هنا النفس لا تخطئ فی استخدامها ابداً. (الیزدی، ۱۴۲۸هـ ج۱، ص۱۶۱)

ومن العلم الحضوری علم النفس بذاتها وبصفاتها وبأفعالها وأحادیثها النفسیة، وعلم الله تعالی بنفسه وبمخلوقاته، هو حضور نفس المعلوم بوجوده الواقعی الخارجی عند العالم، والعلم الحضوری حضور نفس المعلوم لدی العالم وإنما وجود الشیء هو حاضر بذاته دائما بنفس وجوده، وکذا جمیع المخلوقات حاضرة لخالقها بنفس وجودها. (الحیدری رائد، ۱۴۲۲هـ ج ۱-۳، ص۱۷، الهامش)

خامساً: النفس

النفس هی ذلک الموجود المجرد الذی یشار الیه بانا فهو غیر الأشیاء المادیة من الاجسام التی تدرک بالحواس وتتصف بأحکام وخواص المادة من التغیر والانقسام کأعضائنا الظاهرة المحسوسة بالحواس الظاهرة من البصر والسمع وغیر ذلک، فلو کانت النفس مادیة لقبلت التغیر والانقسام ومشهودنا بالنفس انها لیس فیها شیء من احکام المادة، وهذا الذی نشاهده بالنفس انما هو أمراً واحداً بسیطاً لیس فیه کثرة من الأجزاء ولا خلیط من خارج بل هو واحد صرف، فهی جوهر مجرد عن المادة متعلق بالبدن تعلق یوجب اتحادا ما له بالبدن وهو التعلق التدبیری. (الطباطبائی، ۱۴۳۶هـ ج۱: ص۳۶۵)

والنفس هو الموجود الذی یکون مبدأ للأفعال المختلفة، وهی حقیقة واحدة مشککة ذات مراتب متفاوتة شدة وضعفا وما به الاشتراک عین ما به الامتیاز، وما به الامتیاز عین ما به الاختلاف فهی نفس واحدة لها قوی. (الحیدری، ۱۴۲۴ق، ص۳۳)

والنفس حقیقة واحدة ولها مراتب متعددة، منها مرتبة القوی الطبیعیة ومرتبة القوی النباتیة ومرتبة القوی الحیوانیة ومرتبة القوی الناطقة وهذه القوی مراتبها مختلفة لکنها لحقیقة واحدة. (الطباطبائی، ۱۴۳۶هـ ج۲، ص۴۶)

وکل ما یوجد فی مشاعر النفس ومدارکها هو موجود فی نفس النفس، لان النفس بعینها عین مشاعرها الادراکیة سواء اقترن به حکم او لم یقترن، والصور الحاصلة من الشیء عند العقل او فی العقل او حصول صورة الشیء فیه وکذلک وجودها الذهنی أی نفس الصور التی فی العقل کلها حاصلة من النفس. (الشیرازی، ۱۴۲۲هـ ص۵۱)

وحدُ النفس انها کمال للجسم الذی هو آلة لها فی الفعل الصادر عنها. وهی جوهر لا جسم جوهرها من جوهر الباری عز وجل، والنفس بسیطة ذات شرف وکمال فاذا فارقت البدن علمت ما فی العالم ولم یخف عنها شیء إذا تطهرت وانصقلت، وصفاء النفس ان تتطهر من الدنس وتکتسب العلم فالنفس کلما ازدادت صقالا زادت معرفتها بالأشیاء وعلی حسب جودة صقلها تظهر لها وفیها معرفة الأشیاء. (جهامی، ۱۹۸۸م، ج۱، ص۹۰۶)

والنفوس کلما کانت أشرف و أعلی کانت محبوباتها و مرغوباتها ألطف و أصفی و أزین و أبهی و الذی ینبهک علی هذا الأمر أن القوی النباتیة رؤوسها ثلاثة أحدها قوة التغذیة والثانی قوة التنمیة والثالث قوة التولید فکذلک العشق الخاص بالقوی النباتیة علی أقسام ثلاثة

أحدها يختص بالقوة المغذية وهو مبدأ شوقها إلى حضور الغذاء عند حاجة المادة إليه وبقائه فی المتغذی بعد استحالته إلى طبيعته والثانی يختص بالقوة المنمّية وهو مبدأ شوقها إلى تحصيل الزيادة الطبيعية المتناسبة فی أقطار المغتذی والثالث يختص بالقوة المولدة وهو مبدأ شوقها إلى تهيئة مبدأ الكائن مثل الذی هو فيه من نوعه، ومن البين أن هذه الأفاعيل الصادرة عن قوی النفس النباتية ليست صادرة عن مجرد اتفاق أو جزاف بل هی لغايات وأغراض ملائمة لها وخيرات موافقة لطبائعها وكل من تأمل فيها يعلم أنها صادرة عن ميول وقصود فيها فهی إذن عاشقة لتلك الغايات وهی متممة لمباديها ومكملة لها ومخرجة إياها عن النقص إلى الكمال وعن القوة إلى الفعل. (الشيرازی، ۱۹۸۱م، ج۷، ص۱۶۵)

المبحث الثانی: علاقة العلم الحضوری وتأثير النفس فی الخارج

العلم بالشیء قد يكون بصورة مساوية لماهية المعلوم وقد يكون بنفس وجوده كعلمنا بذواتنا وبالصور القائمة بذواتنا وعلم البارئ جل مجده بالأشياء- عند متأخری الحكماء بصور ذهنية زائدة على ذاته تعالى وكل علم صوری فهو كلی وكذا ما يترتب عليه وينشأ منه ولو تخصص بألف تخصيص فإنه أيضا كلی لا يمنع نفس تصوره من الشركة بين كثيرين فالعلم إذا حصل بالمبادی والعلل على هذا الوجه فلا بد وأن يؤدی ذلك العلم إلى العلم بجميع المعلولات حتى الشخصيات على هذا الوجه الكلی أيضا. (الشيرازی، ۱۹۸۱م، ج۳، ص۴۰۳)

والعلم الذی يكون حاضرا لدی النفس وبالتفات منها فی جميع قواها وادراكاتها وهو ملازم لها فی كل آن بحيث لا يمكن التغافل عنه للحظة واحدة يدل على ان علاقة العلم الحضوری بالنفس علاقة متلازمة وبدون هذا التلازم لا يمكن ان يتصور حدوث وحصول هذا النوع من العلم فهو العلم الذی يكون بنفس وجوده لا انه ينعكس عن الماهيات التی المختلفة التی تحدث للنفس بواسطة فی حصول العلم فأول معرفة للنفس هو علمها بذاتها ثم علمها بقواها والاتها التی هی الحواس الظاهرة والباطنة وهذان العلمان من العلوم الحضورية ثم بعد هذين العلمين ينبعث من ذات النفس لذاتها استعمال الآلات بدون تصور هذا الفعل الذی هو استعمال الآلات و التصديق بفائدته كما فی سائر الأفعال الاختيارية الصادرة عنا فی خارج البدن فإن هذا ضرب آخر من الإرادة ليس بالقصد و الرويۀ و إن كان غير منفک عن العلم به لكن الإرادة هاهنا عين العلم و فی غيره من الأفعال الاختيارية الصادرة عن النفس مسبوقة بالعلم بها و التصديق بفائدتها و أما الفعل الذی هو كاستعمال النفس القوی و الحواس و نحوها فإنما ينبعث عن ذاتها لا عن رؤيتها، فذاتها بذاتها موجبة لاستعمال الآلات لا بإرادة

زائدة و علم زائد بل النفس لما كانت فى أول الفطرة عالمة بذاتها عاشقة لها و لفعلها عشقا ناشئا من الذات اضطرت إلى استعمال الآلات التى لا قدرة لها إلا عليه فاحتفظ بهذا فإنه علق نفيس. (الشيرازى، ١٩٨١م، ج٦، ص١٦٢)

فالعلم الحضورى للذات ملازم للنفس ومؤثر فيها ولولاه لما كانت النفس فى اول فطرتها عالمة بذاتها عاشقة لها مضطرة الى استعمال قواها باحثة عن كمالها مستعملة لقواها مدركة لها بانفعالها مع نفسها أو غيرها وهذا الانفعال ما هو الا لكى تحقق غاياتها وأهدافها وهذه العلقة يكون تأثيرها فى نفسها او فى الخارج على حد سواء.

المبحث الثالث: تأثير النفس فى الجسم

كل جسم يفعل فعلا خاصا أو حركة مخصوصة ليس بعرض ولا باتفاق أو قسر فإنه بقوة زائدة على الجسمية فهى إما طبع أو إرادة نفسانية متعلقة وعلى التقديرين لا بد أن يكون لتلك القوة تعلق بالجسم- ولا تكون مفارقة عنه بالكلية فإن الفعل الخاص إذا صدر عن فاعل مفارق بالكلية غير مخالط للأجسام وجب أن يكون المفارق يطلب بالحركة أمرا ليس له وهذا باطل كما علمت فإذن إن كان مفارق مشاركا له فى التحريك فإنه يحرك على أحد الوجهين المذكورين لا غير كالحال فى الحركات الفلكية. (الشيرازى، ١٩٨١م، ج٣، ص٤٨)

أن خالق هذه الأبدان ومشكلها ومصورها وغاذيها ومنميها ومولدها هو أمر من أمر الله باستخدام النفس وقواها المطيعة لإرادة الله وحكمته وهذه النفس تتقلب فى أطوار الكون كيف يشاء الله بأمره ففى بعض الأطوار شأنها تصوير الذوات بصور الحقائق و المعانى الإلهية و العلوم الربانية و تصوير المواد والأجسام بصورها المناسبة لاستعدادها كما فى الأرحام وفى بعض النشئات شأنها- تصوير القوى الحساسة بصورها المناسبة لجوهر الحس من المحسوسات الحاكية لعالم النور فى عالم الظلام وفى طور آخر شأنها تصوير المدارك الباطنة بصور الخيالات والأوهام، و فاعل هذه التشكيلات و التصويرات و الترتيبات لا بد أن يكون صانعا حكيما و مدبرا عليما. (الشيرازى، ١٩٨١م، ج٨، ص١٢٠)

وعالم المواد لا يمكن إلا بآلات جسمانيۀ متباينۀ متخالفۀ الوضع لأن عالم الجسم عالم التفرقۀ و الانقسام لا يمكن أن يكون جسم واحد مع طبيعۀ واحدۀ عنصريۀ مبدأ لصفات كثيرۀ كالسمع و البصر و غيرهما من صفات الإدراک و هيئات التحريک فعضو واحد لا يمكن أن يكون سمعا و بصرا و جاذبۀ و دافعۀ لنقصان وجوده عن جامعيۀ المعانى- بخلاف جوهر روحانى بحسب وجوده الجمعى النفسانى الروحانى فالذات الواحدۀ النفسيۀ مبدأ لجميع الأفاعيل الصادرۀ عن قواها المتفرقۀ المتشتتۀ فى مواضع مختلفۀ على نعت الاتحاد والجمعيۀ و كذا الذات العقليۀ بصرافۀ وحدتها جامعۀ لجميع الكمالات والمعانى الموجودۀ فى سائر القوى النفسانيۀ والحسيۀ والطبيعيۀ لكن على وجه أشرف وأعلى وعلى وجه يليق بوجودها العقلى. (الشيرازى، ١٩٨١م، ج٩، ص۶۴)

فعالم المادۀ الجسميۀ متكثر بآلات متباينۀ ومتفرقۀ وكل جسم يحتاج الى قوۀ تأخذه الى غايته وهدفه وكماله والنفس هى التى ترعى شؤون هذا الجسم المتكثر فالإنسان لديه قوى وآلات كثيرۀ فآلۀ للسمع وأخرى للبصر وغيرها فالنفس هى المدبرۀ والقائمۀ على هذه القوى والآلات فلو كان الانسان فاتحا بصره وسمعه ولكن نفسه غير ملتفۀ الى بصره وسمعه وسئل حينها مثلا من هذا الشخص المار وهو يعرفه تمام المعرفۀ لأجاب مستنكرا ومندهشا بماذا او ما هو السؤال وهذا كله من ان نفسه لم تكن متلفتۀ الى حواسه وهكذا فان النفس هى التى تعمل وتؤثر فى الجسم من خلال قواها المتعددۀ .

المبحث الرابع: تأثير النفس فى الكون

الكون نشوء أول وابتداء وله غايۀ ونهايۀ إليها يرتقى ولغايتها ثمرۀ تجتنى فمسقط النطفۀ كون قد ابتدئ، وغايته الولادۀ التى إليها المنتهى، ويقال: ما الكون؟ خروج الشىء من القوۀ إلى الفعل، والكون يقال لحدوث الصورۀ فى الهيولى بل فى المركّب بل لحصول المركّب على ما هو عليه بهيولاه (المادۀ الاولى) وصورته ومن الكون ما هو طبيعى كما تتكوّن الحيوانات عن النطف والنبات عن البذور، ومنه ما هو صناعى كما يتكوّن الكرسى عن الخشب. والكون هو حدوث الصورۀ التى بها هو ما هو، ولفظۀ (كان) تدلّ على أمر مضى وليس الآن، وخصوصا ويعقبه قولک ثم، فقد كان كون قد مضى قبل أن خلق الخلق، وذلک الكون هو متناه، فقد كان إذن زمان قبل الحركۀ والزمان، لأنّ الماضى إما بذاته وهو الزمان، وإما بالزمان وهو الحركۀ وما فيها وما معها، والكون اذا تبين ما هو لزم اضطرارا فيما يتكون منه بعضه عن

بعض الى ان ينفعل بعض عن بعض ويفعل بعض فی بعض وكان يلزم اضـطرارا فيمـا ينفعـل بعض عن بعض ان يكون متماسا. (جهامی، ۱۹۸۸م، ج۱، ص۷۰۴).

فاصعد بخیالک النوری إلی الأفلاک وانظر بنظر باطنک أقدار الأفلاک و کم أقدار کواکبها غیر المحصورة فإن کثیرا من الکواکب کل واحد منهما له مقدار أضعاف تمام الأرض لا کما تراها بنظرک الظاهر أضواء صغیرة ضعیفة و انظر حرکاتها المتفننة بعضها إلی المغرب علی خلاف التوالی و بعضها إلی المشرق علی التوالی و انظر اختلاف حرکاتها سرعة وبطئا فبعضها یتم دوره فی سنة و بعضها فی اثنتی عشرة سنة و بعضها فی ثلاثین سنة و بعضها ینتهی فی البطء إلی أن یتم دوره فی خمسة و عشرین ألف سنة وفی مقابلة ما ینتهی فی السرعة إلی أن یتم دوره فی أربعة و عشرین ساعة وبعضها فی غیر هذه وانظر ثبات أوضاع الکواکب الثابتة کل مع الآخر دائما و تبدل أوضاع السیارات تبدلا منسقا وأنها مظاهر دوام الله و مجالی قدرة الله و تربیته. فهذه الموجودات کل علی حسب وجوده وتکونه منذ بدئه الی انتهائه لا ینفک عنه الفیض والعنایة الإلهیة فی أی آن من الزمان الا وله ومعه لطف من الالطاف الربانیة بما اودعه الله سبحانه وتعالی فی أنفسها. (الشیرازی، ۱۹۸۱م، ج۷، ص۱۴۵)

فالکون تارة یراد منه النشوء والابتداء وهذا النشوء والابتداء له غایة وهدف ولا یتم ولا یدرک ولا یصل الی غایته ومبتغاه، الا ان تکون له نفس قادرة علی تحرکه وقیادته نحو کماله التی خلق من أجلها والکون بدون نفس لا یقدر ان یصل الی مبتغاه والا کان هذا الکون عبثا ولهوا وهذا لا یلیق بالخالق جل وعلا، وتارة یطلق الکون علی المکان الذی نعیش فیه بما فیه من مخلوقات فهذه الافلاک والکائنات وجمیع المخلوقات کلها کون لها نشوء وابتداء ولکل واحد منها هدف وغایة خلق لأجلها ویسعی الی تحقیقها والوصول الی کما لها فالبذرة یکون ها استعداد لکی تصبح شجرة والشمس لها القوة علی الإضاءة فهذه المخلوقات کلها لدیها الاستعداد والقوة لتحقیق اهدافها وغایاتها ولا ینقطع عنها لحظة واحدة والا لما استطاعة علی السیر نحو کمالها فی کل ان وهذا بفضل اللطف الإلهی والعنایة الربانیة انه افاض علی مخلوقاته نفسا تسعی نحو الکمال الإلهی قال تعالی: «وَإِن مِّن شَیۡءٍ إِلَّا یُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِیحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِیمًا غَفُورًا» (الاسراء ۴۴) والتسبیح حقیقی قالی لا مجازی، فما من موجود مخلوق الا وهو یشعر بنفسه بعض الشعور یرید بوجوده اظهار نفسه المحتاجة الناقصة ویسعی نحو ربه الکمال المطلق بالتسبیح والتنزیه وما من شیء من هذه الموجودات الا وله حض من العلم علی مقدار حضه من الوجود ولیس لازم ان یتساوی الجمیع من حیث العلم او نوعه او جنسه کالذی عند الانسان بل بمقدار ما یحتاجه الی بلوغ أهدافه وتحقیق غایته. (الطباطبائی، ۱۳۶۴ش، ج۱۳، ص۱۱۰)

النتائج:

تبين لنا من خلال هذا البحث انه ما من موجود مخلوق الا وهو يشعر بنفسه بعض الشعور ويريد بوجوده اظهار نفسه وما من موجود الا وله حض من العلم على مقدار حضه من الوجود وان العلم الحضورى يكون ملازم للنفس وهو من طبائعها الغريزيةَ الفطريةَ التى اودعها الله سبحانه وتعالى فيها ولا يمكن ان يتصور وجود العلم الحضورى بدون ان يكون له علاقةَ بالنفس بل له علقةَ التلازم الذى لا يمكن ان تنفك عنها والذى يكون من ذاتها اذ لا يمكن ان يتصور ان النفس لا علم لها بذاتها وكيفياتها ولا تكون ملتفته الى قواها وادراكاتها ويكون خارج عنها، وأى جسم لا يكون له نفع ولا ضرر بدون حلول النفس فيه، فتكون النفس هى المحركةَ والمستخدمةَ لهذا الجسم فلا يمكن ان يؤدى الجسم دوره ومهامه بدون حلول النفس فيه ولا يمكن الاستفادةَ من النفس اذا لم يكن فيها علمها الحضورى ولم يكن لها التفات بهذا العلم والكون فى جميع وجوداته الجسمانيةَ والماديةَ والطبيعيةَ ومنذ بدئه بحاجةَ الى هذه النفس لأنها هى التى يصدر عنها الافعال والآثار وهذه الموجودات كلها تبحث عن كمالاتها وتسعى ورائه والمعين لها فى ذلک انفسها وما اودعه الله فيها من قوى تعينها فى تحقيق أهدافها.

المصادر:

١. جهامی، جیرار، ١٩٨٨م، موسوعة مصطلحات الفلسفة، ج١، مكتبة لبنان.

٢. آملی، حسن زادة، ١٩٩٢م، عیون مسائل النفس، الطبعة الأولی، طهران: دار سبیر للطباعة.

٣. الحیدری، السید رائد، ١٤٢٢هـ المقرر فی شرح منطق المظفر مع متنه المصحح، ج١-٣، بیروت – لبنان، دار المحجة البیضاء.

٤. الحیدری، السید كمال، ١٤٢٤ق، بحوث فی علم النفس الفلسفی، بقلم الشیخ عبدالله الاسعد، قم – ایران، دار فراقد.

٥. صدر المتألهین، محمد بن إبراهیم، ١٩٨١م، الحكمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الأربعة، بیروت – لبنان، دار إحیاء التراث العربی.

٦. صدر المتألهین، محمد بن إبراهیم، ١٤٢٢هـ مجموعة رسائل فلسفیة، ط١، بیروت – لبنان، دار احیاء التراث العربی

٧. الطباطبائی، السید محمد حسین، شرح بدایة الحكمة السید كمال الحیدری ١٤٣٦هـ ج٢، مؤسسة الامام الجواد(ع)، الكاظمیة المقدسة، بقلم الشیخ خلیل رزق

٨. الطباطبائی، السید محمد حسین، ١٣٦٤ش، المیزان فی تفسیر القران، مؤسسة اسماعیلیان للطباعة والنشر والتوزیع

٩. الكاظمی، الشیخ ماجد، ١٣٩٩ش، أصول المعرفة: بحث حول أصول التفكیر الصحیح ومبانی الاستلال الصحیحة، طهران – ایران، چتر دانش

١٠. المظفر، الشیخ محمد رضا، ١٤٢٧هـ المنطق، دار التعارف للمطبوعات.

١١. الیزدی، محمد تقی مصباح، ١٤٢٨هـ المنهج الجدید فی تعلیم الفلسفة، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقانی، ج١، بیروت – لبنان، دار التعارف للمطبوعات..